آيَاتُ اللهِ فِي الشِّتَاءِ

وَمَا يُقَالُ عِنْدَ نُزُولِ المَطَرِ

كلمة مفرغة من خطبة جمعة للشيخ:

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

حفظه الله تعالى

العلم الصحيح

الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح

والرفع، لا ربَّ سواه ولا إله غيره.

وقد ثبت في الصحيحين عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «**صَلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبح بالـحُدَيْبِيَة على إثر سَماء كانت مِنَ اللَّيل [أي على إثر مطر] فلمّا انصرفَ أَقْبَلَ على النَّاس، فقال:** هَل تَدرُون ماذا قال رَبُّـكُم؟ **قالوا: اللهُ ورَسُولُه أعلَمُ، قال:** أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وكَافِرٌ، فَـأَمَّا مَنْ قالَ: مُطرنَا بفضْلِ اللهِ ورَحْمَتِه، فذلك مُؤمنٌ بي كَافرٌ بالكَوْكَب، وأمَّا مَن قال: مُطرنا بِنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فذَلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بالكَوْكَب»[2].

فالقائل عند نزول المطر: (مُطرنا بفضل الله ورحمته)، قد نسب النعمةَ لُمعطيها، وأضاف المنَّة لموليها، واعتقد أنَّ نزول هذا الفضل والخير والرحمة إنَّما هو محضُ نعمة الله وآثارُ رحمته سبحانه. **وأمَّا القائل عند نزول المطر:** (مُطرنا بنوء كذا وكذا) فلا يخلو من أمرين: إمَّا أن يعتقد أنَّ المُنْزِلَ للمطر هو النجمُ، وهذا كفرٌ ظاهرٌ ناقلٌ من ملَّة الإسلام، أو يعتقد أنَّ الـمُنْزِلَ للمطر هو الله، والنوءَ سبب، فيضيف النعمةَ إلى ما يراه سبباً في نزولها وهذا من كفر النّعمة وهو من الشرك الخفيِّ. والأنواء ليست من الأسباب لنُزول المطر، وإنَّما سبب نزول المطر حاجة العباد وافتقارهم إلى ربِّهم وسؤالهم إيَّاه، واستغفارهم وتوبتهم إليه، ودعاؤهم إيَّاه بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم، ولا يتمُّ توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويُضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذِكْره وشكره[3].

ومن السنَّة أن يقول المسلم عند اشتداد هبوب الرِّيح: «اللهمَّ إنِّي أسألكَ خيْرَها وخَيْرَ مَا فِـيهَا وخَيْرَ مَا أُرسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِـيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» لِمَا رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ [أي اشتدَّ هبوبها] قَالَ:** اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِـيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِـيهَا وَشَرِّ مَا أُرسِلَتْ بِهِ»[4].

ولا يجوز للمسلم أن يسبَّ الريحَ؛ فإنَّـها مسخَّرةٌ بأمر الله مدبَّرَةٌ مأمورةٌ، روى البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ الله، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلاَ تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا»[5]. وقوله: «مِنْ رَوْحِ اللهِ» أي من الأرواح التي خلقها الله، فالإضافة هنا إضافة خلق وإيجاد.

وكان من هديه ﷺ أن يقول إذا اشتدَّت الرِّيح: «اللهمَّ لاقحاً لا عَقيماً»، لِما رواه البخاري في الأدب المفرد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان النَبِيُّ ﷺ إذا اشتدَّت الرِّيحُ يقول: «اللَّهمَّ لاقحاً لا عَقيماً»[6]، ومعنى «لاقحاً»؛ أي: ملقِّحَةً للسَّحاب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر] أي: وسخَّرنا الرِّياح رياح الرحمة تُلَقِّحُ السَّحاب كما يلقح الذَّكر الأنثى فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد والمواشي والزروع، ويبقى في الأرض مدَّخراً لحاجتهم وضروراتهم، فله الحمد والنعمة لا شريك له.

وللمسلم أن يُسبِّح عند سماعه الرَّعد، ففي الأدب المفرد للبخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: «**أَنَّهُ كَانَ إِذا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الحَدِيثَ، وَقَالَ:** سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالـمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»[7]. وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّه كان إذا سمع صوت الرعد قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحَتْ لَـهُ»[8].

وفي التسبيح في هذا المقام تعظيم للربِّ سبحانه الذي الرَّعدُ أثرٌ من آثار كمال قوَّته وقدرته، وفيه تجاوب مع الرَّعد الذي يسبح بحمد الله، ولكن لا نفقه تسبيحه.

(1) صحيح البخاري (1032). / **(2)** صحيح البخاري (1038)، وصحيح مسلم (71)، وقوله: «صلى لنا» أي: «صلَّى بنا» كما هو لفظ الحديث عند مسلم. / **(3)** انظر: القول السديد لابن سعدي (ص:108. 109). / **(4)** صحيح مسلم (:899). / **(5)** الأدب المفرد (906)، وسنن أبي داود (5097)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب (696). / **(6)** الأدب المفرد (718)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب (553). / **(7)** الأدب المفرد (723)، والموطأ (1822)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب (556). / **(8)** الأدب المفرد (722)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب (555).

[من كتاب فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبدالرزاق البدر وفقه الله، القسم الثالث/ ص250-254]

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المؤمنون عباد الله: اتقوا الله تعالى، ثم اعلموا رحمكم الله أنَّ من الأمور العظيمة النافعة للعبد في هذه الحياة التفكرّ في آيات الله والتأمّلَ في عجائب مخلوقاته، فإن ذلك – عباد الله – يزيد الإيمان ويقوي اليقين ويُعْظمُ الصّلة برب العالمين ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله: ومن آيات الله العظيمة اختلافُ الأحوال؛ ليلٌ ونهار، حرٌّ وبرد، شتاءٌ وصيف، ربيعٌ وخريف، ولله الحكمة البالغة في ذلك، وتأمَّل رعاك الله نعمة الله على عباده في دخول الشتاء على الصيف والصيف على الشتاء كيف يكون بالتدرُّج والمهلة، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأةً لأضرَّ بالأبدان وأهلكها ولأفسد النبتات وأتلفها فما أعظمها من نعمة وما أجلها.

عباد الله: ولله آيات عظيمة تكثر في الشتاء كالرعد والبرق والصواعق والمطر والبَرَد، يقول الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد].

وثبت في المسند وسنن الترمذي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: ﴿اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾... قَالُوا أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ – أَوْ فِي يَدِهِ – مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ. قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ؟ قَالَ: صَوْتُهُ. قَالُوا: صَدَقْتَ» [السلسلة الصحيحة:1872].

ويقول الله جلَّ وعلا في شأن المطر والبرد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور].

عباد الله: والبرد الشديد من زمهرير جهنم كما أن الحرَّ الشديد من سمومها، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ» [البخاري:537، ومسلم:617].

فهلَّا ذكَّرنا – عباد الله – ذلك بالنار، ومن يتحمل البرد والحر الشديد في الدنيا فكيف بحر جهنم وزمهريرها!! أجارنا الله وإياكم منها.

عباد الله: لقد حمّلنا نفوسنا همومًا كثيرة تتعلق بالدنيا؛ هموم السنين والأزمنة، وهموم الغلاء والرُّخص، وهموم الشتاء قبل أن يجيء، وهم الصيف قبل أن يجيء، هموم متلاحقة فماذا أبقينا في قلوبنا من هم الآخرة وأهوالها وأحوالها؟! وفي الدعاء المأثور: «اللهم لَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا» [صحيح سنن الترمذي:2783].

عباد الله: ومع دخول الشتاء هل تذكَّر أهلُ الجِدَةِ واليسار إخوانهم الفقراء وذوي الحاجة ممن يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ممن لامس البرد الشديدُ أجسامَهم واخترقت شدتُه عظامهم؟! ألا اتقينا حر جهنم وزمهريرها بالعطف على هؤلاء!!، وفي الحديث: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» [البخاري:1417، ومسلم:1016]، والتمرة عباد الله لحافٌ يفيد هؤلاء في البرد؛ كما أن الغطاء لحاف والثوب الدافئ لحاف والمعطف لحاف، فتصدق يا من وسّع الله عليه ولو بشيء يسير، فربما يكون في نظرك حقير وهو عند ذلك الفقير المحتاج كبيرٌ عظيم، ولا تحقرن من المعروف شيئا.

عباد الله: والشتاء غنيمة باردة للعبَّاد والمطيعين؛ فنهاره قصير يسهل صيامه، وليله طويل يهون قيامه، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الشتاء غنيمةُ العابدين"، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "مرحبًا بالشتاء تتنزَّلُ فيه البركة، ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام"، وقال الحسن البصري رحمه الله: "نِعمَ زمانُ المؤمن الشتاء؛ ليله يطول يقومه، ونهاره قصير يصومه".

هذه مشاعر السلف رحمهم الله في الشتاء: فرحٌ وغبطةٌ، همةٌ ونشاط، جِدٌّ واجتهاد فيما يقرِّب إلى الله. وأما أحوال كثير من الناس في هذا الزمان ففي تضييع الفرائض والواجبات، وغَشَيان المحرمات والمكروهات، والاجتراء على حدود ربِّ الأرض والسموات، والسهر الطويل في الليل على ما يُغضِبُ الله ويُظلِمُ القلوبَ ويُضعِفُ نور الإيمان.

اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ورُدَّنا إليك ربنا ردًّا جميلا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واجعل لنا إلهنا في تعاقب الليالي والأيام عبرة ومُذَّكر، وفي توالي الشهور والفصول والأعوام عظة ومعتبر.

[من خطبة جمعة للشيخ عبدالرزاق البدر وفقه الله، 16/ 10/ 1423 هـ www.al-badr.net]

[ما يقال عند نزول الغيث]

إذا نزل الغيث فإنَّ من السنَّة أن يقُول المُسلم عندَ نزوله «اللَّهمَّ صيِّباً نافِعاً» لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «اللَّهمَّ صيِّباً نافِعاً»(١).

وقوله: «صيِّباً» منصوب بفعل مقدَّر، أي: اجعله، والصيِّب: المطر.

وقوله: «نافعاً» وصفٌ للصيِّب، احترز به عن الصيِّب الضار، وفي هذا دلالة على أنَّ المطر قد يكون نزولُه رحمةً ونعمةً، وهو النافع، وقد يكون نزوله عقوبةً ونقمةً وهو الضار. والمسلمُ يسأل الله عند نزول المطر أن يكون نافعاً غير ضار، وهذا الدعاء المذكور يُستحبُّ بعد نزول المطر للازدياد من الخير والبركة، مقيَّداً بدفع ما يُخشى ويُحْذَرُ من ضَرر.

ومن الواجب على العبد في هذا المقام الكريم أن يعرف نعمة الله عليه، وينسبَ الفضلَ إليه، فهو سبحانه مولي النِّعم ومُسديها، بيده العطاءُ والمنع، والخفض